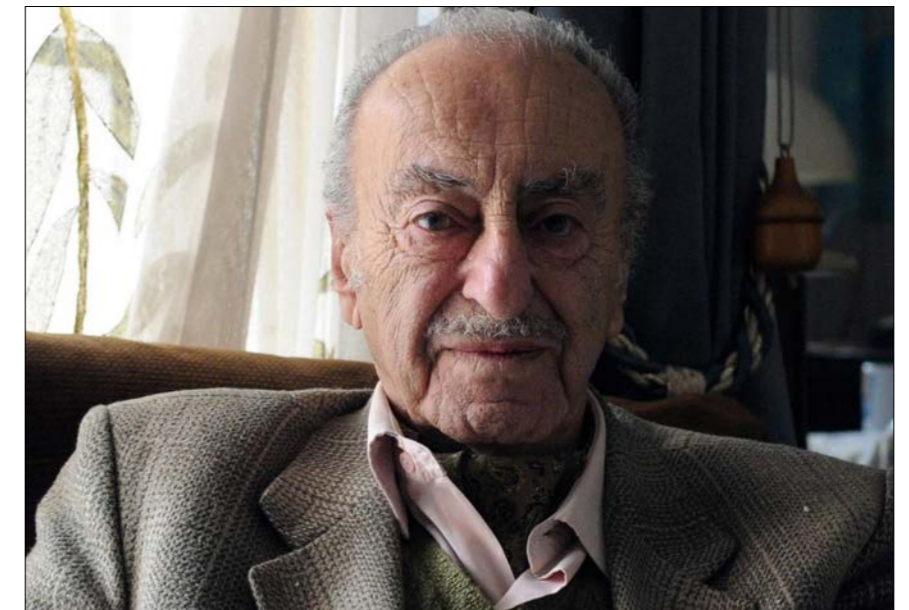


غياب

ابن طرابلس عاش مجهولاً ومات مشهوراً
جورج نصر... أب السينما اللبنانية

انطفأ أخيراً في باريس احد رواد السينما اللبنانية الحديثة، مؤسسها وابوها بلا منازع. جورج نصر، ابن طرابلس الذي اكتشف عشقه للفن السابع في صالاتها، ولاحق حلمه حتى اميركا حيث درس الاخراج. كان رائداً في الكثير من المجالات، الا ان بلده لم ينصفه الا في الايام الاخيرة من حياته



المخرج الراحل جورج نصر.

لا يمكن الحديث عن تاريخ السينما اللبنانية، والركن الاول في تشكيل هويتها بعيداً من التأثير المصري او التركي او الاوروبي، من دون التوقف عند اسم جورج نصر (1927 - 2019). قبله، كانت هناك محاولات قليلة لترسيخ هوية لبنانية للسينما المحلية، لكن المخرج اللبناني الذي رحل الشهر الماضي، زرع بيديه وكاميراه اساسات سينما لبنانية تحمل قضايا وهواجس تقع في صلب المجتمع، على رأسها الهجرة والاعتراق والانتماء التي ما زالت قضايا راهنة اكثر من اي وقت مضى. هكذا تحدى "الى ابن" (1957) الزمن. فيلمه الشهير الذي دخل التاريخ من بابه العريض. اولاً بكونه اول فيلم يحكي عن الاعتراق والانتماء والهجرة اللبنانية المزمّنة، وايضاً بكونه اول فيلم يضع لبنان على خريطة السينما العالمية، من خلال مشاركته في "مهرجان كان السينمائي الدولي" العريق.

كان جورج نصر رائداً في الكثير من الميادين: رسّخ هوية لبنانية للسينما المحلية في زمن طغيان السينما المصرية والهوليوودية، وكان اول مخرج لبناني يشارك في "مهرجان كان السينمائي الدولي"، واول عربي يتلقى تعليمه السينمائي في الخارج، وتحديداً في الولايات المتحدة حيث نال شهادة الماجستير في الاخراج من جامعة كاليفورنيا في لوس انجلوس... مع ذلك، فان قلة تعرف جورج نصر! وهذه القلة ليست من الجمهور اللبناني بقدر ما هي من جماعة المؤرخين والاختصاصيين في السينما.

فلماذا ظلم القدر جورج نصر الى هذه الدرجة؟ هل السبب نفسه هو الذي جعله يؤثر الصمت، ممتنعاً عن مواصلة مشواره السينمائي بعد الحرب الاهلية، على عكس سينمائيين اخرين وجدوا فيها تربة خصبة لبداعهم؟ ام انه فعلاً كانت هناك

مؤامرة حقيقية على جورج من اجل منعه من اطلاق موضة سينمائية جديدة قد تزاخم الافلام المصرية، بل تتغلب عليها كما قال مرة؟ ام انه غياب البنية التحتية للصناعة السينمائية، وغياب الدعم الرسمي واللامبالاة تجاه هذا الفن؟

لعل تلك العوامل مجتمعة، تضافت لتقف وراء سوء الطالع الذي مني به مخرجنا؟

اسئلة كثيرة تطرح في هذه المناسبة. لكن الاكيد ان جورج نصر اوجد مكانه في ذاكرة السينما اللبنانية بوصفه رائداً واباً شرعياً لها، ولو انه ظل مجهولاً ومظلوماً. لعل العزاء الوحيد ان الرجل لم يرحل بمرارة، ولم ينطفئ الا بعد اعادة الاعتبار اليه من خلال ترميم فيلمه "الى ابن" وطرحه في الصالات اللبنانية، ثم طباعته على dvd، وعرضه مجدداً في "مهرجان كان السينمائي" في العام 2017، الى جانب فيلم وثائقي "نصر" - 65 دقيقة - للمخرجين بديع مسعد وانطوان واكد). كما صدر انذاك كتاب حول مسيرته بعنوان "جورج نصر: السينما الداخلية" (اشراف غسان قريط - منشورات جامعة "البا").

من امكن له مشاهدة المقابلات التلفزيونية التي اجريت مع نصر خلال هذا الاحتفاء، تلمس عنده تلك الدهشة، وذاك الفرح في عينيه، كأنه طفل نال ما كان يحلم به ويتوق اليه. لعل هذا هو العزاء الوحيد لمسيرة واجهت العراقيل والمشاكل والمطبات، وتميّزت باجهاض الاحلام الكثيرة التي راكمتها جورج نصر، واراد تحقيقها.

ابن مدينة طرابلس، اعتاد على مشاهدة خمسة افلام في الاسبوع خلال طفولته، واثنين دفعة واحدة ايام الاحاد. احب السينما، من دون ان يخطر في باله ان هذا الشغف يمكن ان يصبح تخصصاً، في زمن لم يكن في بيروت اي معهد او كلية خاصة بالتمثيل والسينما. كبر جورج نصر في كنف عائلة من الطبقة الوسطى. بعد مرحلة التعليم الثانوي، هاجر الى الولايات المتحدة لاكمال تخصصه في الهندسة. فاذا مصادفة اخذته الى جامعة كاليفورنيا ليكتشف انها متخصصة في الاخراج السينمائي.

على مقاعد الجامعة، سيتعرف ايضا الى ابرز الاسماء التي تصنع المشهد السينمائي العالمي، من امثال المخرجين الاميركيين جورج روي هيل وجون فورد. في منتصف الخمسينات من القرن الماضي، سيعود جورج نصر الى لبنان، محملاً باحلام كبيرة وبزاد معرفي يؤهله لوضع اسس سينما محلية خالصة في المشاغل والتوجهات. كما حمل معه الارادة والتصميم الكفيلين بجعله يواجه كل العراقيل المنتظرة.

فيلمه الاول "الى ابن" (1957) - كتابة حليم فارس والروائي البارز يوسف حبشي الاشقر)، كان ايذاناً بولادة مخرج لبناني، ينهل من تربة المجتمع ومشاكله. الشريط طرح تيمات وقضايا تتعلق بالاعتراق اللبناني والرغبة في الرحيل، والانتماء والهوية من خلال قصة عائلة تعيش في جبل لبنان. يقرر رب الاسرة ان يهاجر الى البرازيل بحثاً عن حياة افضل، خصوصاً في ظل المعاناة التي تعيشها عائلته، تاركا الاولاد في عهدة زوجته. تمر الايام، وتنقطع اخبار الاب...

يعزّي الفيلم الاوهام والامال الكثيرة التي تعلق على الهجرة بصفاتها خشبة خالص من واقع مترد اقتصادياً واجتماعياً، الى جانب اهمية الموضوع الذي كان راهنا انذاك، وطريقة معالجتها، فان جورج نصر تميّز ايضا بابتعاده عن الاسلوب المسرحي الذي وسم افلام اسلافه. نحن امام مخرج شاب وثوري يتمتع برويا واضحة الى الفن السابع ودوره. يشرح في احد حواراته الاخيرة: "كل كادر له وظيفة جمالية ودرامية، وليس هناك اي تفصيل مجاني، كل شيء اختير بعناية بهدف ايضال رسالة معينة". الممثلون في هذا العمل، كانوا من الهواة: اناسا عاديين، خضعوا لتعليمات المخرج وملاحظاته، ما يعطي العمل طابعه الخاص. علماً ان لبنان في تلك الفترة كان لا يزال يفتقد الى معاهد التمثيل. والاهم ان النظرة الثورية التي كان يحملها المخرج الشاب، شملت ايضا طريقة تعامله مع المرأة. تركها تعبر عن رغباتها الحسية بكل حرية، وبلا قيود وبكل جرأة، كما جعلها تتمتع بالعزم والارادة والقوة، تماماً كنظيرها الرجل.

تجري احداث "الى ابن" في مناخات الريف والجبل والمناظر الطبيعية، مع اغنيات من الفولكلور والتراث اللبنانيين. وعلى رغم ان الشريط دخل التاريخ بوصفه اول فيلم يشارك في "مهرجان

نقطة على السطر

أين المكتبة الوطنية للسينما؟

ينقسم تاريخ السينما في لبنان الى اربع مراحل: الاولى اواخر الثلاثينات هي مرحلة البدايات مع افلام انتجها وصورها اجانب في لبنان، والثانية منتصف الخمسينات مع جيل الريادة والمؤسسين ومن علاماتها المميزة فيلم جورج نصر "الى ابن" (1957)، ثم جاءت السينما الحديثة التي اطلقها عشية الحرب الاهلية جيل مارون بغدادي وبرهان علوية وجوسلين صعب، واخيراً السينما المعاصرة التي يصنعها اليوم جيل الورثة وجيل القطيعة بامكانات واساليب وتقنيات ومشاغل جمالية تمثل الزمن الراهن.

لكن السينما اللبنانية يمكن ان نعتبرها يتيمة، تعيش وحدها على هامش المجتمع والاقتصاد والحياة اليومية للشعب اللبناني. واذا كنا نفضل مصطلح "السينما في لبنان"، على "السينما اللبنانية" في غياب صناعة وطنية حقيقية، وبنى تحتية وهوية مشتركة، واستمرارية وتكامل بين الاجيال، فماذا نقول عن غياب الذاكرة، وغياب الارشيف، وغياب المؤسسات والبنى التي تحتضن هذا التاريخ؟

في لبنان ليس هناك سينماتيك، او دار للسينما، او مكتبة وطنية للسينما، تحفظ الاعمال والارشيف الخاص بها من صور واكسسوارات وسكريبتات ومقالات ودراسات ووثائق بيوغرافية وتقنية وفية مختلفة. السينماتيك لا تجمع فقط، بل تصنّف كرونولوجياً وجمالياً وفكرياً و(سياسياً حتى) حقبات حركة سينمائية معينة وتاريخها. وتعرض هذه الاعمال، وتدرسها وتناقشها وتنشرها بشكل متواصل في لبنان والعالم. دغدغ مشروع السينماتيك احلام كثيرين من اهل المهنة (الراحلة رندا الشهاب)، ومن رجال السياسة والمسؤولين (وزير الثقافة السابق غسان سلامة). لكن المشاريع والدراسات بقيت حبرا على ورق. لم تحد سياسات وطنية تدعمها وتنظمها وتمولها. السينماتيك في حاجة الى امكانات تقنية، وخبرات ثقافية، وكفاءات علمية وفنية. في حاجة الى اماكن تخزين، واماكن بحث وعرض ومحاضرات. في حاجة تلي سياسة حفظ وتصنيف ونشر، الى رصد ومتابعة، الى قانون يلزم كل منتج ومبدع وضع نسخة من عمله ايا كان نوعه او حجمه في المكتبة الوطنية البصرية، والحصول على رقم ايداع. وهذه العناصر المختلفة، لم تتوافر بعد، ولم نلمس يوماً لدى الدولة وعيا لاهميتها ورغبة في بدء توفيرها.

من زمن طويل لم نعد نسمع بـ"المركز الوطني للسينما" الذي تأسس في العام 1964، وكانت مهماته واسعة تتراوح بين جمع الوثائق وحفظ الاعمال ودعمها والمساعدة على انتاجها وتسويقها. هذا المركز ليت وزير الثقافة في الحكومة الجديدة محمد داوود يبادر الى تفعيله وحياته، فتكون خطوة اولية ايجابية نحو تأسيس المكتبة الوطنية للسينما. لنبدأ بالحد الادنى في احياء مجموعة الافلام التي يملكها المركز، وصيانة النسخ وترميمها وحفظها على اسس عصرية، وعرضها في مهرجانات وضمن نوادي السينما والجامعات. وايضاً يمكن للمركز ان يستأنف اعمال البحث والدراسة، وتنظيم قوائم تضم الاعمال والمبدعين في سياق زمني وحسب الانواع والحقبات والاجيال، وتنظيم عمل استقصائي لتعيين اماكن وجودها.

فيلم "الى ابن" زُعم وعرض في لبنان والخارج، كما كُرم صاحبه جورج نصر في آخر ايام حياته. وهذا امر عظيم. لكن هناك عشرات الاسماء المنسية، ومئات الاعمال المهملة او الضائعة او المشتتة، وهي موزعة بين مؤسسات ودول وسينمائيين ومنتجين وورثة. لنبدأ برصدها وتبويبها والتعريف بها، كخطوة اولى على طريق جمعها، ووضعها في تصرف المبدعين والباحثين والجمهور العريض، ضمن سينماتيك عصرية تضم جزءاً من ذاكرة الامة.

DISTINGUISHED IN ICT SOLUTIONS

In hand with our Tier 1 Partners and our 9 companies, we are expanding in the mature and growing ICT solutions market in Lebanon and the region. We want to take technology to the top of your Business and guide you towards a digital transformation in line with a new era to assure your solid expansion.



35M
TURNOVER



187
EMPLOYEES



9
COMPANIES



34
YEARS

ICC GROUP
Focused Evolution



المصق.



مشهد من فيلمه "الى اين" (1957).

في لبنان. من أشهرها فيلم "المزور" للسينمائي الألماني المعروف فولكر شلندورف عام 1981. منذ العام 1993، تفرغ كليا لعمله كاستاذ في جامعتي "الابا" و"البلمند، مستسلما ربما للامبالاة الرسمية تجاه فن يعتبر مرآة لحال البلد وواقعه. في آخر مقابلاته التلفزيونية قبل عامين، سئل ان كان نادما على سلوك درب الفن السابع. كان رده مدهشا، هو الذي تلقى ضربات القدر بصدر رجب. قال ان من يريد حياة الجاه والمجد والرفاه، عليه ان يتعد عن هذا المجال. اما هو، فليس نادما على خياراته. الشغف بالكاميرا هو الذي سيره طوال حياته، وهذا ما كان يسعى اليه ويمتلئ به. رحل جورج نصر قبل اسابيع، في الثانية والتسعين. رحل بهدوء، تماما كما عاش، بعيدا من الصخب، ملاحقا عشقه الطفولي الذي رباه في صالات طرابلس وسينماتها. كأننا برحيله نطوي زمنا ونختم سيرة جيل استثنائي في حياتنا الثقافية وحياتنا العامة. رحل الاب المؤسس، لكن اللعنة التي لازمته مستمرة، والمشاكل ذاتها تؤرق الناس، وتحاصر اهل الفن والفكر والثقافة، في هذه البقعة من العالم. لم يتغير شيء منذ الخمسينات، بل بالعكس خفت حماسة المرحلة التأسيسية، لتتفقم حالة اللامبالاة العامة بازاء الابداع والمبدعين، ويستمر الاستنزاف المزمع للطاقت وتواصل تراجعها الرحيل الدائم والاغتراب، بحثا عن فرص افضل، واحتمالات لتحقيق احلام ضاق بها الوطن.

س. م

كسب. حقق الشريط نجاحا جماهيريا مدويا، وبقي على الشاشات فترة طويلة، كما استعيد مرارا خلال عقود على الشاشات السورية. ربما كان لموضوع الفيلم دور في هذا النجاح: فهو يتناول القضية الفلسطينية من خلال قصة رمزية عن شخص غريب يدخل بين مجموعة تعيش بعيدا من الحياة العامة، في احد الاماكن المنعزلة، فيسعى الى التفرقة بين افرادها بهدف الاستيلاء على الارض. يتنازع طرفان في القرية على شجرة ضخمة، تقع بين قطعتين من الارض. ويشدد الصراع بين الفريقين، فيموت في المعركة رب عائلة ينتمي الى احد الطرفين المتصارعين. يأخذ الابن مكان والده القليل، ويرى ان الوقت حان لحقن الدماء، والتخلص من هذا الدخيل الغامض. جاء الفيلم على نمط الويسترن، مليئا بالمطاردات والمواجهات والعري النسائي المحموم. بعد هذه التجربة، يمكن القول ان مسيرة جورج نصر توقفت نهائيا في عالم الفن السابع. مع اندلاع الحرب اللبنانية، صمت نصر عن الكلام المباح، تاركا الساحة لجيل جديد من السينمائيين ممن افرزتهم الحرب، وصنعوا افلامهم في مدارها على رأسهم مارون بغدادي، وبرهان علوية، وجان شمعون، وجوسلين صعب... لم ينجز اي فيلم عن الحرب السيئة الذكر، بل امضى 43 عاما في كتابة السيناريوهات خلال حقبة الثمانينات، وفي اخراج الوثائقيات والافلام الدعائية. الحصلة 20 وثائقي، و150 فيلما ترويجيا، الى جانب عمله كمنتج منفذ لبعض الافلام التي وقعها سينمائيون اجانب

كان، الا انه لم يقابل بالحفاوة التي يستحقها، لا هو ولا صاحبه. يقول جورج نصر في احدي مقابلاته التلفزيونية، انه لدى عودته من المهرجان الفرنسي، لم يستقبله احد في المطار، في دلالة فاقعة على غياب الدعم الرسمي للمواهب الناشئة، واللامبالاة تجاه الفن والابداع. لدى عرضه في الصالات اللبنانية، لم يحقق الاقبال المنشود ويا للأسف. لم يكن قبلة شبك التذاكر، فجمهور تلك الحقبة كان معتادا على الانتاجات المصرية والهوليوودية التي كانت تمتلئ بها الصالات، في حين ان فيلم نصر كان خليطا غريبا من الميلودراما والواقعية الجديدة الإيطالية. لكن جورج لم يستسلم، بل واصل العمل. فيلمه الثاني "الغريب الصغير" (1962) جاء بعد ست سنوات على الاول، وباللغة الفرنسية. ضمن اطار الواقع اللبناني نفسه، قارب قصة شاب ريفي ينزل الى المدينة، لتتفتح احساسه في مناخاتها وغواياتها واغراءاتها الكثيرة. وعلى رغم ان الفيلم شارك ايضا في "مهرجان كان"، الا انه قوبل بفتور نقدي وتجاري. ضربة ثانية تلقاها مخرجنا الذي كان يردد في حواراته، ان الموزعين المصريين هددوا اصحاب الصالات وطالبوهم بعدم عرض الفيلم خوفا من ترسيخ سينما لبنانية تنافس نظيرتها المصرية. ضربة جعلت جورج نصر ينكفئ عن الفن السابع، ليعود يعد عقد ونيف، من سوريا هذه المرة، بفيلم "المطلوب رجل واحد" (1974) الذي انتجته نقابة الفنانين السوريين وصور في منطقة